בס"ד

في رِحاب التّوراة

دِراساتٌ وحِواراتٌ روحانيّة مُعمّقة في النّصوصِ التّوراتيّة الأسبوعيّة مع
الحاخام جوناثان ساكس

Jonathan Sacks
THE RABBI SACKS LEGACY

نتقدّم إلى عائلة شِمل بجزيل الشُّكر والعِرفان على دَعمهم السخيّ لكتاب "في رِحاب التّوراة" (Covenant and Conversation),
ونُهدي هذا الكتاب لذِكرى الحاخام الراحِل هاري (حايم) شِمل طَيّبَ الله ذِكره.
"لقَد عَشِقتُ تعاليمَ التّوراة التي قدّمها الحاخام حايم شِمل منذُ اللحظة الأولى لاطّلاعي عليها، خاصة وأنه عَملَ جاهِداً على ألا تتطرّق تعاليمه للحقائق السطحية فقط، بل تعمّق في عَلاقتها بالحقائق الموجودة وراءها. وبرِفقة زوجته أنّا، تلك المرأة الاستثنائية ذات الستين ربيعاً، فقد أسّس الحاخام حايم حياةً مُكرّسة لحُبّ العائلةِ والمُجتمع والتّوراة، فكانا زَوجينِ مُميّزينِ ومثالاً يُعتدّ به بكلّ ما تحمِلهُ الكلمة من معنى، الأمر الذي كان له عميق الأثرِ عليّ. " - الحاخام جوناثان ساكس

With thanks to the Schimmel Family for their generous sponsorship of Covenant & Conversation, dedicated in loving memory of Harry (Chaim) Schimmel.

"I have loved the Torah of R' Chaim Schimmel ever since I first encountered it. It strives to be not just about truth on the surface but also its connection to a deeper truth beneath. Together with Anna, his remarkable wife of 60 years, they built a life dedicated to love of family, community, and Torah. An extraordinary couple who have moved me beyond measure by the example of their lives." — Rabbi Sacks

"فَيِقرا" هو النصُّ الأسبوعي الأوّل من كِتاب "فَيِقرا" (أي سِفر اللاويّين)، وهذا السّفر يحمل نفس العنوان الذي يحمله النصّ الأسبوعيّ لأنها الكلمة التي تبدأ بها الآية الأولى من السّفر. وهذا النصّ الأسبوعي يبدأ من المَقطع الأول وينتهي بالآية السادسة والعشرين من المقطع الخامس.

البحثُ عن مَعنىً لِلحياة

Arabic Translation by *The Connecting Hamza NGO*

تؤكّدُ بنودُ إعلان استقلال الولايات المتحدة الأمريكية على الحقّ الراسِخ للإنسان في الحياة والحرية والبحث عن السعادة، كما بدأت تنتشرُ مؤخراً مئاتُ الكُتب والمؤلّفات التي تتحدّثُ عن السعادة والرّفاه، خاصة بعد الأعمال الرياديّة والنظريات العظيمة لعالم النفس مارتن سيليغمان في مجال علم النفس الإيجابي. مع ذلك، هنالكَ أمرٌ جوهريّ يتعلّقُ بإحساس أحدنا بأنه يعيشُ حياة هنيئة: إنهُ **مَعنى الحياة**. ربّما يبدو لنا الأمرُ وكأنّ السعادة ومَعنى الحياة هُما مفهومان متشابهان، حيث أننا نفترضُ غالباً بأن الإنسان الذي تمكّن من إيجاد معنىً لحياته هو إنسانٌ سعيدٌ، وبأن الإنسان السّعيدَ هو الإنسان الذي وجدَ معنىً لحياته. لكن الحقيقة تقولُ بأن السعادة ومَعنى الحياة هُما مفهومان غير متشابهان، وليس بالضرورة وجودُ حالة من التداخل والقواسم المشتركة بين المفهومين.

إنّ السعادة مسألةٌ ترتبطُ كثيراً بإشباعِ الحاجاتِ والرّغبات، في حين أن فِكرة المَعنى من الحياة هي نقيضُ ذلك، فهي تتعلّقُ بالهدفِ والغاية من الحياة، خاصّة من خِلال المُساهمة بشكل إيجابيّ في حياةِ الآخرين. كما أن السعادة هي إحساسٌ آنيٌّ نشعرُ به في الوقت الحاضر، في حين أن وجودَ معنىً للحياة يتمحور حول طريقةِ تقييم المرءِ لحياته في الماضي والحاضر والمستقبل.

كما أنّ السعادة غالباً ما ترتبطُ **بالأخذِ**، في حين أن معنى الحياة يرتبطُ **بالعَطاء**. أضِف إلى ذلك أن الإنسانَ الذي يُعاني من القلقِ الدائم والتوتر الشدّيد ليسَ إنساناً سعيداً على الإطلاق، لكن ليسَ بالضرورة أنه لا يمتلكُ معنىً لِحياته. وإن تجاربنا التعيسة في الماضي تُقلّل من مدى شعورنا بالسعادة في الوقت الحاضر، لكن في الكثير من الأحيان نجدُ البشرَ يربطون لحظات التّعاسة تلكَ بإيجاد معنىً لحياتهم. والأهم من هذا كلّه أن السعادة ليسَت حِكراً على البشر، فالحيواناتُ تشعرُ بالقناعةِ والرِّضا حين تُشبِعُ حاجاتها ورغباتها، لكنّ وجودَ معنىً للحياة هو بالطّبع ظاهرةٌ بشرية بَحتة، وهي ظاهرةٌ ترتبطُ ارتباطاً وثيقاً **بثقافة** البشرِ أكثر من ارتباطها **بطبيعتهم**. ثمّ إن وجودَ معنىً لحياةِ الإنسان هو أمرٌ لا يتعلّق بالأحداث والتجاربِ التي يمرّ بها، بقدر ما يتعلّق **بطريقة رؤيته وتحليله وتفسيره** لتلك الأحداث والتجارب. بالتالي يُمكننا القولُ بأن الإنسان قد يكونُ سعيداً دون وجودِ معنى لحياته، ومن المُمكن أيضاً أن يمتلكَ معنىً لحياته التي تخلو من السعادة، حتى لو كان يمُرّ بأوقاتٍ تطغى عليها ملامح الظلام والألم. [1]

وفي هذا السياق أستذكرُ مقالةً قرأتها في *مجلة الأتلانتيك* تحتَ عُنوان: "يوجدُ في الحياةِ أمورٌ أعظمُ من مُجرّدِ شعورِك بالسّعادة"[2]، حيثُ توضِّحُ كاتبةُ المقالة إميلي سميث بأن رحلةَ البحثِ عن السّعادة ستكونُ نتيجتها أن يعيشَ المرءُ حياةً سطحيّة أنانيّة محورها هو الذات فقط، لكن ما يجعلُ رحلةَ البحثِ عن معنىً للحياة مُختلفةً عن رحلةِ البحث عن السعادة هوَ أنها تهدفُ لإيجادِ أمرٍ يتجاوز حدودَ الذّات بكثير.

في الحقيقة، لا يوجدُ شخصٌ ساهَم في موضوع البحثِ عن معنىً للحياة مثل العالِم وطبيب النّفس الراحل فيكتور فرانكل، والذي اقتَبستُ الكثير من أفكاره خلال هذه المقالات التي تتناول مسألة الروحانيّة[3]. وعلى الرغم من السنوات الثلاثة التي أمضاها فيكتور فرانكل في مُعسكر أوشفيتز النازيّ، إلا أنّه ظلّ على قيدِ الحياة وقام بمُساعدة الكثيرين على البقاء على قيدِ الحياة أيضاً، وذلك عبر مُساعدتهم في اكتِشاف معنىً لحياتهم حتى لو كان ذلكَ وسط الجحيم نفسه، إيماناً منهُ بأن من يفقد الرغبة في الحياة في مُعسكرات الموت النازية فإن مصيرهُ سيكونُ الموت لا محالة. وقد كانَت تجربته هذه بمثابة الحاضنة التي تشكّلَت فيها أفكارهُ، والتي تمخّضَت عنها منهجيّة جديدة من مناهِجِ علم النفس، حيثُ وضعَ أسسها في كتابه "الإنسانُ يبحثُ عن معنى" ونشره عام 1946م. وقد استغرقَ تأليفُ هذا الكتاب تسعة أيام فقط، وبيع منه أكثر من عشرة ملايين نُسخة في كافة أنحاء العالم، كما تمّ تصنيفه على أنه واحدٌ من أكثر الكُتُبِ المُؤثِّرةِ على مستوى العالم خلال القرن العشرين.

كما كان فيكتور فرانكل يقولُ دائماً بأن الطريقَ لإيجاد معنىً للحياة لا يبدأ بالتساؤل عَمّا نريدهُ من الحياة، بل بالتّساؤلِ عَمّا تُريدهُ الحياةَ مِنّا. موضّحَاً بأنّ كل إنسانٍ مَنّا يُشكّلِ كياناً فريداً في مواهِبه وقدراته وإمكانياته ومهاراته وفي الظروف المعيشيّة المُحيطة به، لهذا يوجدُ لِكُلّ إنسانٍ مِنّا دورٌ لا يُمكنُ لِأي إنسانٍ آخرَ أن يَقومَ به. في الوقت نفسه، فإن حقيقةَ تميّزنا عن غيرنا لا تَجعَلُنا أفضلَ من الآخرين، وحينَ تُؤمنُ بأنّكَ موجودٌ في هذه الحياة لسببٍ مُعيّنٍ فإنّ هذا يَفرِضُ عليكَ القيامَ بِـ **"تيكون"** (أي إصلاح) أمرٍ ما في هذا العالم، أمرٌ لا يستطيعُ أحدٌ آخرٌ إصلاحهُ غيرُك؛ فهُنالك بصيصُ نورٍ محبوسٍ لا يُمكنُ لأحدٍ أن يُحرّرهُ سواك، وهُنالك أعمالُ خيرٍ وسخاءٍ وكَرَمٍ وجُرأةٍ لا يُمكنُ لأحدٍ القيام بها سِواك، حتى البسمةُ الرقيقةُ وعبارات التشجيعِ في بعض الأحيان لا يُمكن لأحد أن يقولها سواك، وهذا لأنك موجودٌ في حياةِ شخصٍ آخرَ في هذا الزّمان وهذا المَكان على وجهِ الخصوص.

كما اعتادَ فيكتور فرانكل على ترديد هذه العبارة: "الحياةُ هي عَمَلٌ كُلّفنا بالقيامِ بهِ"، موضّحاً بأنّ "الإنسان المُتديّن، خلاف الإنسان غير المتديّن على ما يبدو، لا ينظرُ لحياته على أنها مُجرد واجبٍ عليه القيامُ به فحسب، بل هي مهمّة ينبغي عليه تنفيذها، لأنّه يدركُ تماماً أن ثمة مصدر يحثه على تأدية تلك المهمّة، هذا المصدر الذي لَطالما وُصف منذ آلاف السنين على أنّه الله عزّ وجلّ".[4] ومن هُنا تبرزُ أهميّة السفر الثالث من أسفار التوراة الخمسة، وأهميّة الاسم الذي يحمله النص الأسبوعي من نصوص التوراة على وجه الخصوص: **"فَيِقرا"**، بمَعنى "ثُمَّ دَعا".

إن هذه العبارةَ الموجودة في الآيةِ الأولى من المقطع الأول من سفر اللاويين هي عبارةٌ عَصيّةٌ على الفهم إلى حدٍ ما، وعادةً ما تُترجمُ حرفياً كالآتي: **"ودَعا اللهُ موشيه (موسى) وكلَّمهُ مِن خيمةِ الاجتِماع ..."**، حيثُ يبدو للوهلةِ الأولى بأن الفعل "دَعا" ليس له أي لزومٍ على الإطلاق، لأنه متبوعٌ بالفعل "وكلَّمه"، فما هي الحاجةُ لإضافة الفعل "دَعا" في هذه الآية إذا كانَ اللهُ يُكلّم موشيه أصلاً؟ يقول الحاخام شلومو يتسحاقي (المعروف اختصاراً بلقب "راشي") في مُستهلّ تفسيره لهذه الآية:

> "في كُلّ مرةٍ كانَ يتواصلُ الله عزّ وجل فيها مع موشيه (سواء كان هذا التواصل على شكل عبارة **"ثم قال"**، أو **"ثُمّ أمَر"**) كانَت الآيةُ تبدأ بعبارة تُشير إلى نداء الله لموشيه باسمه"[5].

والنّداءُ يحملُ في طيّاته مَعنى التّحبُّبِ والتودّد إلى المُنادى عليه، وهو الأسلوب الذي يتخذه ملائكة الطاعة في كلامهم تبعاً لما يذكره سفر يِشعَياهو/إشعياء في المقطع السادس الآية الثالثة التي تبدأ بعبارة: **"وهذا نادى** ذاكَ وقالَ... .

بالتالي وبحسب ما يوضِّحُ لنا الحاخام راشي فإنّ **"فَيِقرا"** تَعني **النّداء بأسلوبٍ مُحبّبٍ** لتلبيةِ أمرٍ ما، وهذا هو مصدرُ أحدِ أبرزِ المبادئ في الفِكر الغربي: إنّهُ مبدأ **النّداء** أو **التّكليف**، حيثُ يقصدُ بهذا المبدأ أن اختيارَ المرء لمهنتهِ ووظيفته جاء من مُنطلقِ أنها **تُناديه** لأدائها، لا بسبب رغبته في أدائها أو لأنها تجلبُ له مَنافِعَ مُعيّنة.
وفي الكتاب اليهوديّ المقدس (التّناخ)* توجدُ نِداءات عديدة مماثلة لهذا النّداء، فهنالِك نِداءٌ لأفرَهام/إبراهيم حتى يترُكَ أرضهُ وعائلتهُ (بحسب الآية الأولى من المقطع الثاني عشر من سفر التكوين)، وهنالك أيضاً نِداءٌ لِموشيه جاءه من قلبِ العليقةِ المُشتعلة (تبعاً للآية الرابعة من المقطع الثالث من سفر الخروج)، ونداءٌ آخرُ للنبيّ يشعياهو حين رأى الله عز وجلّ خلال رؤية غامضة يبدو فيها مُتوّجاً ومُحاطاً بالملائكة التي تُنادي عليه (أي على النبي يشعياهو) تبعاً لما تذكره الآية الثامنة من المقطع السادس من سِفر إشعياء:

"ثُمّ سَمِعتُ صوتَ اللهِ قائلاً: مَن أرْسِلُ؟ ومَن يذهبُ مِن أجلِنا؟ فقُلتُ: ها أنذا، أرسِلني"

وبالإضافة إلى هذه النداءات جميعها، نجِد قِصّة مؤثرة جداً حدثَت مع الشاب شموئيل/صموئيل الذي أصبح نبياً في وقت لاحق وطلبَت منه والدته حنه/حنا بأن يُكرِّسَ نفسه لعبادة الله عزّ وجلّ في أحد بيوتِ العبادة في منطقة شِيلوه، فكان حينها مُساعِداً للكاهِن اليهوديّ عيلي/عالي. وفي أحد الأيّام هرعَ شموئيل صوبَ الكاهن عيلي مُعتقداً بأنّه يُنادي عَليه، لكن الكاهن عيلي قال له بأنه لم يُناديه أبداً، وتكرّر هذا الموقف مرةً ثانية وثالثة، وعِندها فقطَ أدركَ شموئيل بأنه نداءُ الله عزّ وجلّ له، فوَضَّحَ له الكاهِن عيلي بأنّه في المرة القادمة حين يسمَعُ هذا النداء عليه أن يردّ قائلاً: "لبيّك يا الله، عبدُك يُصغي إليك". بالتالي لم يخطُر ببال شموئيل - الذي كان شاباً يافعاً حينها - بأن هذا النداء رُبّما يكونُ نِداءً إلهياً حتى يُكلِفه بأداء أمرٍ ما، لكنه كان بالفِعل نِداءً إلهياً، ولهذا بدأ مهمّته في أوّل الأمر نبياً ثم قاضياً، ثُم مُنَصِّباً لأول ملكين من ملوك بِسرائيل: الملك شاؤول والملك دافيد/داوود (تبعاً لما يذكره سفر صموئيل الأول في المقطع الثالث).

بالتالي، عندما نرى أمراً خاطئاً بحاجةٍ للتصحيح، أو داءً بحاجةٍ للدواء، أو حاجةً بحاجةٍ للإشباع، ونشعرُ بأنها تُنادينا للقيام بها، حينها فقط نقتَربُ من ذلك الزمنِ الذي عاش به الأنبياء والصالحين الذين لَبّوا **"فَيِقرا"**/نِداء الله عز وجلّ.
والسؤال الذي يطرحُ نفسه هُنا: لماذا تظهر كَلمةُ **"فَيِقرا"** تحديداً في بداية هذا السفر الذي يتوسّطُ أسفار التوراة الخمسة؟ السبب واضحٌ وبسيطٌ جداً: لأنّ هذا السفر يتحدّثُ عن القرابين، وعن النداء الإلهي الذي يطلبُ منّا التضحية، **فنحنُ نُقدِّمُ التضحياتَ حين نشعرُ بأن التضحيةَ جُزءٌ من عملٍ كُلّفنا به، أو حين تكون جُزءاً من نداءٍ طُلِبَ منّا تلبيته**.

وفي سياقِ الأبديّة، يتملّكُنا شعورٌ في بعضِ الأحيانِ بأنّنا مَعدومو القيمة، وبأنّ وجودنا في هذا الكونِ لا يتعدّى وجود قطرةٍ من محيطٍ أو حبة رملٍ من رمال شاطئ البحر، أو حتى ذرّة غُبارٍ في هذا الكون الشاسع. **لكن علينا أن نتذكر في لحظاتٍ كهذه بأننا موجودون هُنا لأن الله عز وجل أرادَ لنا ذلك، لأنه كلّفَنا بعملٍ ويريدُ منّا أن نقومَ به على أكملِ وجه**، والبحثُ عن مَعنى لحياتِنا هو ضالّة هذا العمل. فكُلّ منّا له كيانٌ فريدٌ يُميزه عن غيره، حتى التوائمُ المتشابهة تختلفُ جينياً عن بعضها البعض.

لهذا هنالك أمورٌ ينبغي على إنسانٍ مُحددٍ القيامُ بها، لأنهُ هوَ بالذات، لا لأنه شخصٌ آخر، ولأنه وُجِد في زمانٍ محددٍ ومكانٍ مُحددٍ في ظروفٍ مَحددة. لقد كلّفَ الله عزّ وجلّ كل إنسان مِنّا بمهمة خاصة، وربّما تكون هذه المهمة على شكلِ عملٍ يقوم به، أو إحسانٍ يُظهرهُ تجاه الآخرين، أو محبّة يتشاركُها مع غيره، أو وحدةٌ يُهوِّنها على صاحِبها، أو ألمٌ يخفّفُه على من يعاني منه، أو حياةٌ مُحطّمة بحاجة لمَن يُصلحِها.

---

* **مُلاحظة توضيحية من المترجم**: **التّناخ** هي كلمة تختصرُ الحروف الثلاثة الأولى من كلمات "توراة، نڤيئيم، كتوڤيم"(أي التوراة والأنبياء والكتابات)، ويُقصد بكلمة تناخ الكتاب اليهوديّ المقدس الذي يضم أسفار التوراة الخمسة (سفر التكوين وسفر الخُروج وسِفر اللاويين وسِفر العدد وسِفر التثنية)، بالإضافة إلى أسفار الأنبياء (وهي ثمانية أسفار: سِفر يوشَع، وسِفر القُضاة وسِفر صموئيل الأول والثاني وسِفر المُلوك الأول والثاني وسِفر إشعياء وسِفر إرميا وسِفر حزقيال، وسِفر اثني عشر الأنبياء الاثني عشر الأواخر. ويُضاف لها أسفارُ الكتابات، والتي تضمّ الهاغوغرافا، أي كُتُب السيرة الخاصة بالكهنة وكبار الحاخامات والشخصيات العظيمة في الديانة اليهودية، والتي تضمّ أحد عشر كتاباً، وهي سِفر المزامير، وسِفر الأمثال، وسِفر أيوب، وسِفر روث (راعوث)، وسِفر نشيد الإنشاد، وسِفر الجامِعة، وسِفرُ مراثي إرميا، وسِفر أستير، وسِفر دانيال، وسِفر عِزرا ونحميا، والجُزء الأخير من التّناخ يضم أسفارِ تدوين التاريخ. بالتالي يضمّ التناخ بين ثناياه أربعة وعشرين سِفراً (كتاباً).

كما أن تحديدَ هذه المهمّة الإلهية الموكلة إلى كل فردٍ مِنّا وتلبية النّداء الإلهي والذي تختزلهُ عبارة "**فَيِقرا**" يُمثّل واحداً من أصعب التحدّيات الروحانية التي يُواجِهُها كلّ إنسان. والسؤال الذي يطرحُ نفسه هُنا: كيف بإمكاننا أن نعرفَ تلك المهمّة الإلهيّة التي أوكلها الله عزّ وجلّ لنا؟ لقد وضّحتُ إجابة هذا السؤال عبر صفحات كتابٍ لي نشرتهُ قبل بضع سنواتٍ تحت عُنوان To Heal a Fractured World "إصلاحُ عالمٍ مُحطّم"، وحتى يومِنا هذا لا زلتُ مُقتنعاً بالإجابة التي يُمكنني اختزالها في العبارة التالية: إن نقطة الالتقاءِ بين الأمور التي نرغبُ بالقيام بها مع الأمورِ التي يجب علينا القيام بها، هي النقطة التي يريدنا الله عزّ وجلّ أن نكون موجودين فيها.

---

1. أُنظُر أيضاً:
Roy F. Baumeister, Kathleen D. Vohs, Jennifer Aaker, and Emily N.Garbinsky, "Some Key Differences between a Happy Life and a Meaningful Life," *Journal of Positive Psychology*, vol. 8, issue 6 (2013): 505–16
2. إميلي سميث: مقالة بعنوان:"There's More to Life Than Being Happy," *The Atlantic*, Jan. 9, 2013
3. راجع هذه المقالة المنشورة سابقاً حول النص الأسبوعي "وَيِّغَّاش"، إعادة الصياغة.
4. أنظر أيضاً:
Viktor Frankl, *The Doctor and the Soul: from Psychotherapy to Logotherapy* ,13 (New York: A. A. Knopf, 1965)
5. تبعاً لتفسير الحاخام راشي للآية الأولى من المقطع الأول من سفر اللاويين.

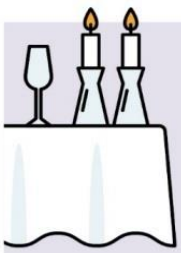

حَولَ مائِدةِ يومِ السّبتِ المُقَدَّسِ: أَسئِلةٌ لِلتَّأمُلِ

1- مَن الذي يُحدّدُ ماهيّة النّداء الخاص بِك؟
2- هل تعلم ماهيّة هذا النِّداء الخاص بِك؟ وكيف تعلمُ ذلك؟
3- هل بإمكانك التفكير في مواضع رئيسيّة أخرى من التناخ وجَّهَ اللهُ عز وجل فيها نِداءً لأحدٍ لتلبيةِ أمرٍ ما؟

● These questions come from this week's Family Edition to Rabbi Sacks' Covenant & Conversation. For an interactive, multi-generational study, check out the full edition at **https://www.rabbisacks.org/covenant-conversation-family-edition/vayikra/the-pursuit-of-meaning/**

Arabic Translation by *The Connecting Hamza NGO*
Sponsored by *The Sir Naim Dangoor Centre for Universal Monotheism*, *Bar Ilan University*